

في تاريخ الأدب المصري

٤ - ابن النبيه

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

تمتة

المدح والنزل أهم ما طرقة من الأغراض ، أما الوصف فإنه يأتي عرضاً غير مقصود ، وقد وصف لنا ما تبهج به نفسه من مُتَمَع كما ذكرنا ، وأما الرثاء فهو جيد وإن كان قليلاً ، وهو يجيد الرثاء والعزاء ، استمع إليه حين يرثي ويعزى قائلاً :

الناس للموت تكيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد ، على كفه جواهر يختار منها الجياد
مضية أذكت قلوب الوردى كأنما في كل قلب زناد
يأثالث السبطين خلفتني أهيم من همى في كل واد
ويأصيح الترب أقلتني كأنما فرشى شوك القناد
دفنت في الترب ولو أنصفوا ما كنت إلا في صميم الفيواد
خليفة الله اصطب و احتسب فما وهى البيت وأنت اليماد
في العلم والحلم بكم يقتدى إذا دعا الخطب و ضل الرشاد
ولعل الظروف التي أحاطت به لم تلجسه إلى الهجاء ، ولذا لا نعثر عليه فيما بين أيدينا من شعر

- ٦ -

يمتاز شعر ابن النبيه بالسهولة والرفقة والمدونة ، سهولة تذكرنا بدياجة البحترى المدونة في نقاد ، والسلمة في امتناع ، وهو مع سهولته يرتفع عن الأسلوب الماي إلا في النادر جداً ، حين يتجد التعبير الماي هو التعبير الذي يؤدي المعنى الكامن في نفسه تماماً ، ولكنه مع ذلك يهذب ويشذب أطرافه حتى يملو ويرتفع . وهناك ظاهرتان أخريان فيه : أولاها استخدامه كثيراً من الكلمات الفارسية في شعره ، ولعل لميشته بالجزيرة وقربة من بلاد الفرس ، ولحبه التجديد والتظرف أثر في ذلك كثيراً ، فانت تسمع في شعره كلمة السلاذ معرب اللاد وهو قماش حرير لطيف

جداً ، وتسمع كلمة الكاهنبد وهي مركبة من كله وهو اسم لما يلبس فوق الرأس وبند وهي بمعنى رابط ، ومجموعهما اسم لما يشد به ما على الرأس إلى الذقن لثلاثا يقع ، ويستعمل كلمة جوكانه بمعنى صولجانه وغير ذلك . وأخراهما ما تراه في شعره كما تراه في شعر غيره من المصريين من حب للبديع واقتتان بأنواعه وفنونه ؛ ولقد أغرم شاعرنا بتلك الأنواع البديعية ، ولا سيما الطباق والأقتباس وحسن التعليل واللف والنشر ومراعاة النظير والجناس والتلميح ، كقوله :

تبسم عن منظوم در ، فان تكلمت جاءت بمشور
وقوله :
إن جنحوا للسلم فاجنح لها ما خضدع الحرب بتقصير
وقوله يصف الحجر :

بكر إذا ابن سماء مسها لبست ثوب الحجاب حياء منه واتشحت
وقوله :

فالناس بين بنانه وبيانه في نعمتين رغبائب وغرائب
وقوله :
عزيز يوسنى الحمد نلم يُشر ولم يسجن
قد ابيضت به عيني وللمهجور أن يحزن
ولقد كان حينما يمدح القاضى الفاضل يتأقن ويجهد الأجتهد
كله في الصناعة اللفظية شأنه في ذلك شأن غيره ممن اتصل بالقاضى
ومدحه ، ولقد نظم فيه قصيدة استخدم الأقتباس في كل أبياتها
واقتبس من سورة الزمزل إذ قال :

قمت ليل الصدود-إلا قليلا ثم رتلت ذكرهم ترتيبا
ووصلت السهاد أقيح وصل وهجرت الرقاد هجراً جميلا
مسمى كدل عن كلام عذولى حين ألقى إليه قولاً ثقيلا
وفؤاد قد كان بين ضلوعى أخذته الأحباب أخذاً وبيلا

قيل لراق الجفون إن لعينى في بحار الدموع سبحاً طويلاً الخ
وعلى هذا المنوال نسج قصيدته ، وذلك غير مستغرب على رجل يخاطب القاضى الفاضل الذي كان زعيم الطريقة التي تعنى بالصناعة والبديع . غير أنه لا ينبغي أن نظن أنه استخدمه البديع أضع من جمال الشعر أو حط من قيمته ، فشاعرنا لبق يجيد استخدام البديع من غير أن يؤثر في جمال الشعر وروعته . هذا ولشاعرنا بعض موشحات ليست بقوية ولا رائعة ، وهي أضعف من شعره البادى ، وأحدها ينطق بدون إعراب ، ولعل

صورة من ادب السودان

قصيدة نقدية

للأستاذ عبد الله عبد الرحمن

العروبة

تنكر من وادي العروبة مورد
ولا ماؤه ينساب بين رياضه
وقفت على الوادي ملياً فيزني
مضى متنبية وحسان دوحه
أسائله : أين الذين تحدثوا
على ظلك الضافي جلوس وكلم

أحمد زكي باشا

كان لم يكن شيخ العروبة نازلاً
زكي ! نصير العرب في كل موطن
عليك سلام الله أحمد ، هامداً ،
وكان الرجال العبقريون إن قضا
لقد كنت براً بالعروبة كلها
إذا طلع الغرب الحديث بأية
عدت الى التاريخ تسأل حكمه
فساحوا وطاروا في السماء وعمت

سفينهم الكون الجديد وأصعدوا

الغرضي

وفوضى على الأكران جرت ذبولها
مظاهرها في كل ناد ، وإنما
نشت في زمان فاض غدراً بأهله
لنا لغة أما ينوها فأنكروا
هو جهلوا منها علواً كثيرة
وما قدروها في اللغي حق قدرها
وأياتها في كل يوم وليست
أرادوا ، وظلم ما أرادوه بين ،

(١) الرقد : شراب يخدر

محاوئته في الموشحات لم تنجح فأنصرف عنها ولم يكتر من
الموشحات ، كما أنه خرج على أوزان الشعر العربي القديم قليلا
حيثما كان يقول شعراً من النوبيت ، وهو وزن لم يستعمله العرب
القدماء وإنما اخترعه الولاون

- ٧ -

فأنتى أن أذكر لك اسم شاعرنا ، وأنه أبو الحسن علي بن
الحسن بن يوسف بن يحيى ، ويلقب بكال الدين ، ويكنى بابن
النبية ، وفأنتى أن أقول لك : إنه كان حاضر البديهة حسن
التعليل ، ويذكر من ذلك أنه رأى الأشرف يوماً يرتش
بالحمى ، فنظم على البديهة وأنشده :

تباً لحمك التي كست فؤادى ولها !

هل سألتك حاجة فأنت تهتز لها؟

ومرة أنكسر براع الأشرف وهو يكتب فالتمس غيره فلم يجد
فقال له : أقلامك يا كال قليلة ، فنظم ارتجالاً قوله :

قال الملك الأشرف قولاً رشداً أقلامك يا كال قلت عددا
ناديت لعلول كتب ما تطلقه تحنى وتقط ففى تقنى أبدا
ومرة غنى بين يدي الملك العزيز دويبت بالمعجبة معناه أنه
جعل الليل برد دارا للجبب ليحجب الشمس ، فاستحسن المعنى
وأرسل إلى وزيره أن يأمر الشعراء بالعمل في ذلك ، فأنشد كل
منهم ما ورد عليه ، ودخل ابن النبى على الوزير ، فطلب منه أن
يعمل في ذلك ، فاستمهله فأبى فقال :

قلت لليل إذ حباتي حبيباً وغناء بسى النهى وعقارا
أنت يا ليل حاجبى فامنع الصبح وكن أنت يا دجى برد دارا
وبرد دارا فارسى معرب معناه الحاجب ، والغناء بالفارسية
قد يفسر لنا وجهاً من الوجوه التى أدخلت الكلمات الفارسية
في شعر ابن النبى ، ولسرعة بديهته تلك كان الملك الأشرف كثيراً
ما يطلب منه قول الشعر ارتجالاً في أى موضوع بين له

سكن ابن النبى نصيبين ، وهى مدينة في شمال الجزيرة بعد
أن غادر مصر ، وبعد نحو ستين عاماً من مولده (إذ أنا لا نعلم تاريخ
ميلاده على وجه التعمين) مات ابن النبى في اليوم الحادى
والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع عشرة وستائة .

أحمد أحمد بديرى
بالأوقاف الملكية

« تم البحث »